التنازلات الخ... ولكنها لا تضع بديلا ملموسا واضحا للحلول الثلاثة التي يمكن ان تطرح حول مستقبل هذه الارض : بقاؤها تحت الاحتلال ، او عودتها للحكم الاردني (بما في ذلك تنفيذ مشروع المملكة المتحدة) او اقامة سلطة وطنية عليها ؟ فالنضال ضد الاحتلال وضد العودة الى الحكم الاردني ، وضد المؤامرات على القضية ، وضد التنازلات الاستسلامية ، لا تجيب على السؤال الذي يطرح حول مصير هذه الارض بعد توفر امكانيات اخراج القوات الاسرائيلية منها ، بالقتال أم بالمفاوضات ، لا فرق ، فكلها في النهاية وسائل نضال ، يكمل بعضها بعضا ، وفعالية هذا الشكل او ذاك تتحدد فيما يمكن الحصول عليه من مكاسب بعد استخدامه .

نعم ما هي الحلقة المركزية في المهمات التي تطرح في هذه المرحلة ؟ اذ لا بد من حلقة مركزية ، لا بد من هدف محدد تناضل الثورة من أجل تحقيقه لا من أجل رفضه ويشكل تحقيقه مكسبا وطنيا . فحتى الان كانت الحلقة المركزية النضال من أجل الهدف الستراتيجي وفي اطار هذا النضال كانت تتحدد الشعارات العملية الملموسة بالرفض ، رفض الكيان الصهيوني، رفض المشاريع الاستعمارية، رفض الصلح والاعتراف الخ... أما الان ، وبعد حرب تشرين حيث تغيرت موازين عديدة وأصبحنا أمام واقع جديد فلم يعد من الممكن ، الا من قبيل الرومانسية على حد تعبير أحد قادة الثورة ، طرح شعارات من هذا القبيل . فالرفض هو دائما سهل ، أما النضال من أجل تحقيق هدف محدد فهو الاشد صعوبة والاكثر مسؤولية .

الا ان الربط الشرطي المطلق لاي شعار مرحلي بالهدف الستراتيجي هو عملية تعجيزية . لان ربط تحقيق هدف ما ، السلطة الوطنية مثلا في الضفة الغربية وغزة ، بشرط وضوح كيفية وزمن الوصول الى تحقيق الهدف النهائي ، الدولة الديموقراطية على كامل الارض الفلسطينية ، هو غير واقعي ، هو ، عمليا ، رفض هذا الهدف المرحلي . ان ذلك لا ينفي ، بالطبع ، وحدة الهدف المرحلي مع الهدف الستراتيجي . بل ان هذه الوحدة ضرورية ، فاي مكسب يتحقق في نطاق مرحلة معينة ، انما ينبغي ان يخدم ، بالضرورة ، النضال لتحقيق الهدف النهائي . غير ان واقع العمل الثوري يتطلب الحد الاقصى من المرونة . ولا يمكن التعامل مع الاحداث التاريخية التي وقعت والتي يمكن ان تقع ، كالتعامل مع الاشياء . فليس بمقدور الثورة ، أية ثورة ، ان تتجاهل خلال نضالها الوقائع والامكانيات ومجموعة كبيرة من القضايا والاعتبارات والظروف . اننا نريد ان نفترض ، كنتيجة لنضال الثورة الفلسطينية والقوى الحليفة لها ، أحد ثلاثة احتمالات ، الانتصار او الهزيمة او التعادل كما طرحها أحد قادة الثورة . هل سيكون موقف الثورة واحدا في كل هذه الاحتمالات ؟ بالطبع لا ! لان موقف الثورة سيمليه عليها الوضع الملموس الذي ستجد نفسها فيه . في حال الانتصار يجب معرفة حجم هذا الانتصار والدور المحدد للثورة فيه ، بالنسبة للقوى الاخرى ، بما في ذلك قوى الحلفاء ، وقوى الضغوط الخارجية الخ ... وينبغي محاكمة الوضع ايضا ، بشكل ملموس وواقعي بالنسبة للاحتمالين الآخرين .

أي لا بد من الاجابة ، كما فعلت الثورة الجزائرية من قبل ، والثورة الفيتنامية ، والعديد من ثورات التحرر الوطني ، فضلا عن ثورة اوكتوبر نفسها ، على السؤال الذي يطرحه الواقع ، في حال الوصول الى احد هذه الاحتمالات الثلاثة ، ولا سيما احتمال تحقيق النصر : كيف نتابع المعركة ؟ كيف نحدد ملامح الوضع الذي سينشأ ؟

الثورة الجزائرية ظلت تقاتل الى ان وجدت نفسها أمام حتمية الجلوس على مائدة المفاوضات مع العدو الذي كانت تقاتله ، ووقعت معه اتفاقات مجحفة ، ثم تخلصت